

اختلاف الاتجاهات الأدبية وآفاق المستقبل العربي

المستقبل العربي تشيها بدورها غيوم كثيفة ليس قومية ، وانسانيا فحسب ، بل وطنيا أيضاً ، فلا ننتظر - اذن - ان تكون رسالة الاتجاهات الادبية العربية المعاصرة بيئة جلية في خدمتها لهذا المستقبل .

انه من الاليات المعلومة ان نشير هنا الى ان المستقبل مرتبط بالحاضر ، فكيف يمكن ان تكون رؤيتنا واضحة ، متناسقة للمستقبل ، ورؤيتنا لحاضرنا المشاهد مفترقة متشعبة غامضة . ان ارتباط الاتجاهات الادبية بالمستقبل العربي متين الصلة بحاضرنا وقضاياها .

ان التناقضات العميقة التي يعانها الوطن العربي منذ سنوات أدت الى بروز ظاهرة جديدة في حياتنا الثقافية ، ظاهرة الادب المتأزم والفكر المتأزم ، فقد يرى البعض في هذا سوداوية مسرفة ، ولكنني في الحقيقة أبعده ما أكون عن السوداوية أو التشاؤم وانما انظر السى ظاهرة تآزم الفكر العربي نظرة واقعية دون ان افقد الامل ، او ينقطع عني نفس النضال . ان أمر أولئك الذين يريدون ان ينظروا السى الحركة الادبية والفكرية عامة بعين الإعجاب والرضا الغريب ، فلماذا يريدون ان ينفرد الادب بالبعد عن التأزم ، والعالم العربي في شتى مظاهره يشكو الركود ، وعلامة أزمة حادة . أليس من المنطق والبداهة ان يمس أدبنا رذاذ من هذه الازمة ، ولا سيما اذا طالبناه ان يكون ابن بيئته ؟

ان أسباب هذا التأزم معقدة ، متشعبة ، مرتبطة وثيق الارتباط بأزمة الأوضاع في اكثر البلدان العربية ، فالتحول العميق وتطور الاحداث السريع منذ الخمسينات جعل العالم العربي يواجه سؤالاً مطروحا عليه بشكل حاد وحتمي ، سؤال معركة المصير ، والمنعرج الذي سيسلكه ، سؤال وضع الانسان العربي المعاصر ، العامل ، والفلاح ، والمفكر ، والسياسي بين الوجود واللاوجود . فقد عاش هذا العالم هزيمتين ، هزيمة ١٩٤٨ ، وهزيمة ١٩٦٧ ، سلطنا اوضاعاً كاشفة على نقاط الضعف الحضاري للامة العربية ، فقد بلورت الهزيمة الاولى نظرية القومية العربية ، وقد رفعت أولاً شعار استكمال مظاهر السيادة ، والحرية السياسية ، ثم شعار العدالة الاجتماعية ثانياً ، فأجهضت الحرية السياسية في كثير من البلدان ، وبقيت العدالة الاجتماعية شعاراً فقد سحره لدى الجماهير التي طسال انتظارها ، وجاءت الهزيمة الثانية لتجعل القومية العربية تواجه قضية مصيرية خطيرة ، وأزمة اختيار حاسم ونهائي :

- اما الوحدة ، وتكن مرحلية ، باعتبارها الطريق الوحيد مع الوعي الكامل بمشاكلها المعقدة ، وتناقضاتها الداخلية العميقة على اساس حلها داخل الوحدة ، وليس قبلها ، لان قبلها لن تحل ، فالتطبيق هو السبيل الناجع لايجاد الحلول . ونلج على أهمية الوعي الكامل بذلك حتى لا تقع نكسة ، او خيبة أمل لدى حماة : الجماهير العربية .

- او الانكماش والانزامية بحجة اختلاف الأوضاع ، وافتراق المصالح ، ولكن مصالح من ، مصالح الفئات الحاكمة ، ام مصالح الطبقات الكادحة ؟ وفي هذه الحال تجمد القومية أجيالاً ، وتعجز

تذكر ، بادىء ذي بدء ، ان الاتجاهات الادبية العربية المعاصرة ليست محددة وليست مدروسة حسب رؤية حضارية هادفة ، ونظرة كونية شمولية لماضي الوطن العربي القريب ولحاضرة ، المهزوم المأزوم ، وآفاق مستقبله الغامض .

هناك دراسات متفرقة صدرت هنا وهناك حول نوع معين من انواع الانتاج الادبي ، وبينها محاولات قيمة جريئة اوقت اضاء كاشفة عن الشعر الحديث في السودان مثلاً ، او عن الرواية المصرية ، او القصة القصيرة العراقية ، او القصة المعاصرة في سوريا ، او عن المسرح العربي مع التركيز على بلد معين حسيماً تصل اليه يسد الدارس من مصادر ومعلومات ، ولكن هذه الدراسات ذات الصبغة الاقليمية تشكو انعدام النظرة الشمولية ، فهي تكاد تكون شذرات متفرقات جمعت دون منهج متسق او رؤية شاملة .

ونلمس - الى جانب ذلك - تاثر هذه الاتجاهات في العالم العربي :

اولاً : بما نتج عن التطور التقني المعاصر ، وما يوفره من وسائل الاتصال العالمي في ميادين النشر والدعاية ، واستعمال وسائل الاتصال الجماهيري من ذبوع شتى الاتجاهات الفكرية والمساريس الادبية والفنانية ، هذه الاتجاهات التي نستطيع حصرها بين تيارين رئيسيين على صعيد الفكر العالمي :

- تيار الثقافة الانسانية المؤمنة بالتطور البشري الدائدة عن تراث الشعوب وحقوقها في الحرية والعدالة الاجتماعية يفتو انصاره النزعات الانسانية بمزيد من روح التفاهم والتسامح ، وبفضحون ضروب استغلال الانسان ، ومظاهر انسلبية والتخطيم في سياسة النظم الامبريالية .

- وتيار الفكر البورجوازي البراق في مظهره ، والجذاب في اخراجه ، ولكنه مناهض للروح الانسانية ، محتقر لجوهر الانسان ، جاعلاً منه دمية مسخرة لخدمة الفئات الارستقراطية .

ثانياً : بالاتجاهات المعنانية المختلفة في الوطن العربي نفسه ، فهي اصدق مرآة لتلك التيارات الايديولوجية التي تقسم الادباء العرب والنخبة المثقفة العربية عامة ، مرآة تنعكس عليها في نفس الوقت تناقضات الواقع العربي ، فالوقف الادبي جزء من الموقف المعام للمجتمع ، ولا يختلف اثنان في ان المجتمع العربي يعاني أزمة حادة نلمس آثارها في شتى ميادين حياتنا ، ومنها الميدان الادبي ، فلا غرو - اذن - ان نجد التناقضات التي تمزق العالم العربي ، وما تفرزه هذه التناقضات من مشاعر الخوف في مواجهة الواقع الاليم تدفع ببعض الادباء والمفكرين الى الارتقاء في أحضان الانتهازية ، والركض في مقدمة ركب ذوي السلطان المطلق القهري ، وبالبعض الآخر السى مفاجأة القراء بانتساج تهب منه روح التشاؤم السلوب الامل ، او الترجسية الدميعة ، ونجد فئة نالته تلوذ بالصمت اضعف الايمان ، فتتمكز على ذاتها وتتقوقع داخلها ولا تخال هذه الذاتية الا فراراً من مرارة الواقع العربي .

اذا كانت الاتجاهات الادبية مختلفة ، متباينة تتلون بفرقتنا الايديولوجية غالباً ، نرجسية غامضة في بعض الاحيان ، فان آفاق

الامة العربية عن مواجهة التحديات ، فتستسلم .
ان السؤال - اذن - ما يزال مطروحا ، سؤال الوجود ،
أو اللوجود ، وان يتربح الاجابة طويلا .

عن رسالة الآخرين وفي مقدمتهم رجال السياسة ، فدورهم أخطر ،
ومسؤوليتهم أثقل ، فهم المباشرون لشؤون الحكم ، ويدهم اتخاذ
القرارات الحاسمة المصيرية ، أما المفكر فانه يؤدي دورا هامشيا كما
رأينا ، فكيف نطلب منه بعد هذا ان يختم بأدبسه المستقبل العربي
وطنيا وقوميا ، وانسانيا . ولا أوافق من يذهب الى الرأي الى ان
« الاديب عموما تعود على المعارضة ، على السلبية ازاء النظم ، ولم
يوطد نفسه للبناء » ، فمن ترك له المجال ان يقوم بعملية البناء هذه ،
ولا سيما المشاركة في وضع هندسة هذا البناء ، اما ان يدعى للقيام
بدور ثانوي على خشبة مسرح هذه الاحداث الخطيرة التي يمر بها
الوطن العربي فذلك في رأيي أبعد ما يكون عن الرسالة الحقيقية
للمفكر العربي .

وهذا السؤال نفسه هو الذي جعل موضوع رسالة الادب ، ودور
الثقاف في خدمة المستقبل العربي ، والمساهمة في حل المشكل
المطروح حلا موضوعيا ، منسجما مع الرؤية الحضارية ، والتطور
التاريخي يختم مصالح الجماهير الشعبية يطرح نفسه علينا من جديد
بشكل حاد وحتمي وبأسلوب أخطر مما طرح به في مرحلة التحرر
الوطني .

ونرى اتجاهات الادب العربي المعاصر تتأثر في هذا الوضع برؤية
الاديب ، فمن له رؤية ثورية واضحة يواصل السير في دربه ، واعيا
بنلك الهوة العميقة التي تفصله عن مصالح الفئات السائدة ، ورأينا
فئة اخرى تخضع فتسير في الركب راضية ، لاهشة ، وثالثة تلوذ
بالصمت ، فتستفوق داخل نفسها .

ان الادب قام بدور فعال في مرحلة التحرر الوطني ، وتجاذب
مع نظرية القومية العربية ، وتحمس في كثير من جوانبه ، ورغم
اختلاف الاتجاهات لقضية الوحدة ، ولكن جذوة الحماس بدأت تخمد
لدى الكثيرين ، وأصبحوا يلوذون بالانتاج السريع الفامض الاهداف ،
أو بالصمت ، ان بقوا مخلصين لمبادئهم ، والاديب العربي في هذا
متفاعل مع الواقع ، عن وعي او عن غير وعي ، فقد بقي السؤال منذ
الهزيمة الثانية مطروحا على الامة العربية بتون جواب ، بل لم ترددا
كثيرا ، ان لم نقل رفضا ، السير في ذلك الطريق الوحيد ، وهكذا
تكتفت السحب في سماننا ، وتآزم الوضع ، فانعكس ذلك على الادب،
والاديب ، ولا سيما وهو في كل هذا تابع لا متبوع ، فقد شعر في
السنوات الاخيرة بالهوة السحيقة التي تفصله في جل الافطار العربية
عن النظم القائمة ، وبدوره الطفيلي الهامشي في تحديد الاختيارات
المصيرية وطنيا وقوميا ، فبعد ان نضح الاحساس الوطني والاجتماعي
بين الخمسينات والستينات بصورة عنيفة بدأ الثقاف يبحث لنفسه
عن دور يؤديه في غمار تلك الحركة الشاملة ، ولما شعرت الجماهير
بعد ذلك بأهمية العدالة الاجتماعية الى جانب الاستقلال الوطني ،
والنظرية القومية التي أرادت ان تعوض اجهاض الحرب السياسية
بشعار العدالة الاجتماعية ، حاول الاديب العربي الجديد - بغض النظر
مرة اخرى عن الاختلافات العقائدية - ان يجعل أدبه مرآة لمشاكل
الشعب وآماله ، ولكن يجد نفسه في خاتمة المطاف في زقاق حين
تآزم الوضع ، وافتقرت السبل ، وطرح سؤال الوجود واللوجود
يؤدي دورا هامشيا واقفا على حافة الطريق ، ان سمح له بحرية
الوقوف ، شاعرا ان مصاحته الحيوية ورسالته متناقضة مع مصالح
الطبقات السائدة . يقول « لوكانش » : « ... ذلك لان الصعوبة
الخاصة في وضع المثقفين ترجع اذن الى انهم لا يستطيعون ان يمثلوا
مصالحهم الحيوية الاولية بصورة فعلية الا حين يجابهون صراحة
السياسة الرجعية للطبقات السائدة ، والا حين يساندون الجماهير
في كل المسائل التي تعارض فيها مصالح الطبقات السائدة مع مصالح
جماهير الشعب الشغيل الفقيرة ، وينادفون عن هذه المصالح ،
ويصفون عليها طابعا عاما » .

فمن أبرز مظاهر الاختلاف في الاتجاهات الادبية المعاصرة - اذن -
تباين هذه الرؤية في صفوف الادباء ، وانعدامها لدى عدد كبير .
ان الواقع الراهن الذي نعيشه في الوطن العربي يحتم اختلاف
الراء والعقائد الايديولوجية ، والفنية ، وبالرغم من صعوبة
التبويب وتذبذب الاتجاهات لدى الكثير من الادباء والمفكرين العرب
فسنحاول ابراز أهم مميزاتها التي يحتويها تياران بارزان :

- تيار محافظ نجد ضمنه اكثر من اتجاه .
- وتيار تقدمي يضم ألوانا من الاتجاهات العقائدية ، نجد بينها
الوطني التقدمي ، والعربي الثوري التقدمي ، والعربي الشوفيني
الرجعي ، والماركسي الكلاسيكي المتحجر ، وتيار اليسار العربي
الماركسي الجديد .

وبرز من هذا التيار التقدمي ، بغض النظر عن الانتساب
لايديولوجية معينة ، مثقفون تمكنوا من تحويل مجرى التيارات
التروبولية وساهموا في تغذية الثقافة القومية ، وصقل معالم
التراث ، ومظاهر الاصاله العربية ، وانعاش المعاني الانسانية .
ونجد لجميع هذه التيارات الايديولوجية - وهنا يلتقي الكتاب
والشعراء مع بقية المواطنين الواعين في العالم العربي - انعكاسا في
الانتاج الادبي العربي المعاصر ، وتأثيرا فيه ، ونبفي ان نقوم بايضاح
ذلك في نموة مختصة انطلاقا من النصوص نفسها .

وقد يرى البعض خطرا في ابراز هذا التباين في صفوف النخبة ،
والتأكيد عليه . انني اعتقد - بالعكس - انه ليس أخطر على الانتاج
الادبي ، بل على الفكر عامة ، ان نخفي خلافتنا الادبية والفنية ، وما
يكن وراءها من فرقة عقائدية ، فالاختلاف في المنازع الفكرية ،
والاتجاهات الايديولوجية ، ينتج عنه بطبيعة الحال تباين في النتائج ،
والسمات والاتجاهات الادبية والفنية ، فلا مناص - اذن - من طرح
قضية تعرية المفاهيم الفكرية والتحديد النظري ، فهي قضية ملحة
جوهرية ، فلا بد من وضع العلامات المييزة لكل منها وتوضيح
قسماتها ، ومضامينها وأشكالها الاجتماعية ، ومنطقاتها الفكرية بفية
تحديد الرؤية لما سنفرزه من نوازع ، ومواقف في حاضرن الراهن .
وهل نستطيع ان نتحدث عن تأثير الاتجاهات الادبية العربية المعاصرة
في المستقبل العربي دون ان نعرف مناوعها ، ومنعرجاتها ، لان هذا
التأثير سوف لا يكون موحدًا ، وسوف يكون هو نفسه متأثرا بمعطيات
معينة سيعيشها الوطن العربي ، أو بالتيارات الوافدة عليه ، فهو غير
حصين ، منبع فكريا ، ما يزال تتجاذبه مختلف المذاهب ، وشتى
المدارس . اننا نشعر بان مناقشة خدمة الاتجاهات الادبية المعاصرة
للمستقبل العربي تدخل في باب الحدس والتنجيم .

ان وضع النخبة المثقفة في الوطن العربي ، وطبيعة رسالتها
يكشفان تناقضا غريبا في أقطارنا ، فهي من جهة في حاجة ملحة الى
ذوي النظرة التكاملة الشمولية ، والكفاءات في التسيير ، وخاصة
في اتخاذ القرارات في معركتها الكبرى ضد التخلف ، ومظاهر المجتمع
الاقطاعي الراكد ، ومن جهة اخرى ينظر حكامها بكل حذر واحتراز
الى نخبة البلاد ، واكثر الناس كفاءة وأعمقهم وعيا . ان نظرة سطحية
سريعة لهذا الوضع تجعل المرء يستغرب ، ولكن النعمن عن كتب في
طبيعة اكثر النظم الحاكمة يكشف عن الداء المستحكم الدفين .

وقد يقول عشاق المثاليه ، وأصحاب الشعارات العاطفية
الفصفاضة ، ولكن للادباء رسالة خاصة ، فهم من اكثر الفئات
الاجتماعية وعيا ، ويجب عليهم ان يحمموا مشعل النضال . اني
لا انازع ان للمفكر العربي دورا خاصا في هذه المرحلة التاريخية
المعينة التي نمر بها ، ولكننا نخطئ حين نركز على دوره ، ونتغافل

واستغل أنصار الاتجاهات الرومانسية في الادب مفالة الواقعية الاشتراكية ، وجمودها ، وتعلقها بشعارات شكلية فهاجموها صراحة ، وألصقوا بها تهمة ، الواقعية الاشتراكية براء منها ، مثل اتهامها بأنها تدعو الى التفسير الاقتصادي للادب والفن ، او انها دعوة للمضامين الثورية والاجتماعية دون أي اعتبار للصنعة الفنية ، وللشكل ، وهكذا اتخذوا من نظرة ضيقة متحجرة للواقعية وتطبيقا جامدا لها فرصة للتشديد بها .

وهناك من استعمل الواقعية الاشتراكية لمهاجمة التيار الاشتراكي في الوطن العربي .

ولا بد من الاعتراف هنا بان أبرز النقاد العرب ذوي النزعة الماركسية أدانوا بانفسهم ، منذ الستينات ، هذه النظرة الضيقة للواقعية ، فهذا الدكتور لويس عوض يعدد المدارس التالية :

- مدرسة الاشتراكية الثورية .
- مدرسة الواقعية الاشتراكية .
- مدرسة الادب الهادف .
- مدرسة الحتمية الاقتصادية او الجبر التاريخي .

ويرى فيها خطرا على الاشتراكية بمناها الانساني الحقيقي ، ويقول : « ولكن المفالة في هذه النظرة تتضمن من ناحية حكما بالاعدام على الكثرة المطلقة من تراث الفكر الانساني ، والفن الانساني ، والثقافة الانسانية لا لذنب الا لانها لم تمن مباشرة بترقية الجماهير وتحريرها ماديا وروحيا . كذلك المفالة في هذه النظرة من شأنها ان تؤدي الى تجاهل حقيقة من أهم حقائق التاريخ ، ألا وهي ان كثيرا مما نعدده اليوم فلسفات ، او غيبيات بورجوازية رجعية تعترض تقدم الجماهير كان في يوم من الايام قمة الثورية التحررية ، وقمة الجماهيرية التقدمية عندما كانت البورجوازية نفسها تتبنى آمال الجماهير ، وتعذب بالامها في صراعا الرهيب لتتساقط معاقل الاقطاع . وهذا هو الشط الذي ارتكبه نقاد اليسار الشيوعي ومفكره حين حملوا حملة عمياء شاملة على كل فكر مجرد ، وكل اتجاه روحي ، او مثالي بحجة انه يعبر عن عقلية البورجوازية الصغيرة » (الاشتراكية والادب) .

ونجد ناقدا بارزا من أنصار الواقعية الاشتراكية المتحررة ، ذات النزعة الانسانية هو الاستاذ محمود أمين العالم يقول : « ان كسل قصيدة حب حقيقي ، هي قصيدة تقدمية . ان كل عمل فني يملأ قلب الانسان بالحرارة والبهجة هو عمل تقدمي . ان كل ابداع يضيف الى وجدان الناس مذاقا جديدا للحياة هو ابداع تقدمي » (الثقافة والثورة) . ولكن بالرغم من هذا النقد الذي قام به الادباء الاشتراكيون انفسهم للنظرة الضيقة للواقعية الاشتراكية ، محاولين ازالة ما علق بها من شوائب وتهمة ، فان التيار الذي تمثله هذه المدرسة قد انحسر ، واصيب بانتكاس في الاعوام الاخيرة ، فالرومانسية الادبية الجديدة تعيش حالة مدّ بعد ان تقلص ظلها في بدايسة الستينات ، وتمر الواقعية الاشتراكية بحالة جزر . وبخالف رجاء نقاش هذا الرأي مؤمنا بان هنالك « واقعية ثانية » قد ولدت تختلف عن « الواقعية الاولى » ، « واقعية ثانية قد اذابت الجليد بينها وبين المدارس الفنية الاخرى وبالاخص المدرسة الرومانسية » !!

ويرى هذا الرأي حسين مروة ، ومحمود أمين العالم ، فيزيل حسين مروة في كتاب « دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي » « التناقض المزعوم بين الرومانسية والواقعية ، ولا يقف ... عند المناقشة النظرية لهذه القضية ، وانما يعرضها عرضا تطبيقيا ، فيختبرها في بعض المنجزات الادبية عند عدد كبير من الادباء من امثال يوسف ادريس ، ونجيب محفوظ ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد المعطي حجازي ، وعبد الرحمن الشرفاوي ، وصلاح جاهين وغيرهم » (الثقافة والثورة) .

فلا انسحار اذن ولا نكسة في رأي هؤلاء النقاد الثلاثة المعروفين

أن التأثيرات العقائدية في الاتجاهات الادبية ما تزال بارزة في قضية تكاد تصبح كلاسيكية ، قضية الادب الملتزم الهادف ، او الواقعية الاشتراكية في الادب والرومانسية ، وقد انعكست على الادب العربي المعاصر جميع المشاكل التي مرت بها مدرسة الواقعية الاشتراكية في الادب الاوروبي والاميركي دون ان يستطيع الاستفادة من تجربتها في أوروبا ، ولا سيما في أوروبا الشرقية ، وانقاء أخطائها هنالك ، فوجد أنصارها في الادب العربي المعاصر ينتظرون ، فيبالقون ، فهذا سلامة موسى يعارض تبني الدكتور طه حسين الدعوة الى ترجمة آثار شكسبير قائلا : « ان ترجمة شكسبير عميل رجعي ، لان شكسبير نفسه ليس اكثر من فنان رجعي (ملوكي) كان يكتب عن الملوك ، ولا يهتم الا بارضاء البلاط الملكي ، ونحن نريد فنا للشعب ، وأدبا للشعب » (رجاء نقاش ، أصوات غاضبة ، ص ٧) . ويدين ناقد من نقاد الواقعية الاشتراكية ، الدكتور عبد العظيم أنيس ، ابراهيم عبد القادر المازني دون النظر الى القيمة الانسانية في إنتاجه الادبي ، ودون اعتبار الى ان مؤلفات المازني تعد وثيقة تاريخية وأدبية هامة في فهم المجتمع المصري خلال مرحلة تاريخية معينة ، واعتبرت هذه الواقعية المتطرفة المتحجرة أدبيا بارعا في تصوير حياة فئات اجتماعية معينة في المجتمع المصري هو نجيب محفوظ فنانا سلبيا بحجة انه يكتب عن الطبقة المتوسطة ، وبهمل العمال والفلاحين ، وانه متشائم تنتهي رواياته بالهزائم ، واندحار أبطالها .

وظهر إنتاج تحت شعار الواقعية الاشتراكية لا يقيم مؤلفوه لاصول الفن الادبي وقواعد الإنتاج الفني عامة كبير وزن ، فأصبحنا نقرأ إنتاجا شعريا وقصصيا ، ونقدا أدبيا مليئا بالشعارات ، يطفى عليه طابع خطابي يذكر بالخطب السياسي ، وحملات التوعية الجماهيرية . أما الجواز الوحيد الذي دخل به هذا الإنتاج عالم الادب والفكر فهو حديثه عن العمال والفلاحين ، وادانته للبورجوازية ، فهو « أدب بروليتاري » وهذا يؤكد ما لمحنا اليه من ان أنصار اتجاه الواقعية الاشتراكية في الادب العربي المعاصر لم يستفيدوا من الأخطاء الفظيمة التي وقعت فيها هذه المدرسة في ظل الجمود الستاليني ، وهكذا أصبح « أي شاعر هزيل الفن يكتب قصيدة عن الاقطاع أفضل - في ظل الواقعية الاولى - من أي شاعر موهوب أصيل يكتب قصيدة عن الحب أو الحزن » ، فهزل الأسلوب ، وأهملت قيمة اللغة الفنية ، وكان هنالك تناقضا بين المضمون الملتزم الثوري ، والصيغة الفنية الموهوبة . يقول الناقد ف. ف. كالفرتون في كتابه « تحرير الادب الاميركي » موضعا رايه حول هذه الظاهرة التي أصيب بها الادب في أوروبا وأميركا قبل وصولها للادب العربي : « ان الناقد البروليتاري الثوري لا يهدف الى الفحص من قيمة الصنعة الادبية وانما كل ما يذهب اليه هو ان الصنعة الادبية وحدها غير كافية ، وان الصنعة الادبية ينبغي أن تستخدم لخلق اشياء ذات معنى ثوري ... والمعاني الثورية المجردة من الصنعة الفنية تشكل عند الناقد الجذري وضعا فاشلا لا يقل فشلا عن وضع الصنعة الادبية المجردة من الهدف الثوري . واذا كان الادب البروليتاري قد فشل في كثير من وجوهه في أميركا فما ذلك لانه أدب بروباغندا ، بل لان خصائص الصنعة الفنية تنقصه ... فاذا ما أوتينا الصنعة الفنية فهدفتنا يجب ان يكون ان نجعل من الفن خادما للانسان كوسيلة للكفاح لا ان نجعل من الانسان خادما للفن كوسيلة للهروب » .

ومن امراض الطفولة التي أصيبت بها الواقعية الاشتراكية في الادب العالمي ، وأصيب بها الادب العربي بالنسبة تنكرها للعواطف الانسانية باعتبارها من مظاهر الضعف البشري ، فكل فن يعالج هذه المظاهر هو فن ذاتي ، و « البطل الايجابي » هو المثال الوحيد الذي يجب الاعتناء به ، ويجب ان ينتصر في نهاية القصة ، أو المسرحية ! ويذكر هذا الاتجاه المتحجر بفتة الراضين للتراث العربي رفضا مطلقا بحجة انه ذو محتوى رجعي .

بانتماهم للتيار التقدمي بين الاتجاهات العقائدية المختلفة الكامنة وراء المدارس الأدبية في أدبنا العربي المعاصر .

انني اعتقد ان اذابسة الجليد بين « الواقعية الثانية » والرومانسية الجديدة محاولات لاختفاء النكسة الواضحة التي تعيشها الواقعية الاشتراكية في الحياة الأدبية والفنية في كثير من البلدان العربية ، وأرى ان هذه الازمة التي تمر بها مدرسة ادبية تقدمية من مدارس الأدب العربي المعاصر متصلة وثيقة الصلة بظاهرة الانتكاس التي خضلت للتيار الاشتراكي في كثير من أقطار العالم العربي خلال السنوات القليلة الماضية ، فقد أدت هذه الظاهرة الى بروز تيارات رجعية محافظة في السياسة والفكر ، كان لها انعكاسها على التيارات التقدمية في الإنتاج الأدبي والفني . وقد يعتقد البعض ان السبب يعود الى ان الأدب الاشتراكي الهادف لم يثمر في عالم الفعل ، ولم تظهر نتائجه . ان هذا الاتجاه يدل على فهم سطحي لرسالة الأدب الواقعي الاشتراكي ، فدوره ليس قلب الأوضاع وإبراز النماذج الملموسة ، ان رسالته عميقة ، طويلة المدى تتمثل في نشر الوعي الحضاري الثوري في صفوف الجماهير . ونشر هذا النوع من الوعي العميق الهادف خطوة أساسية في طريق تقويض اركان المجتمع المتخلف الرائج تحت عبء مظاهر الاقطاع ، والقرون الوسطى ، وبناء مجتمع جديد ، مجتمع النهضة العربية الحديثة . فلا الأدباء الرومانسيون ولا الواقعيون الاشتراكيون يستطيعون تغيير الواقع العربي الراهن ، فقد رأينا ان مصير هذا الواقع هو أبعد ما يكون عن أيدي الأدباء والمفكرين ، ولا سيما عن أيدي المتزمين منهم .

وينبغي ان ندرك في هذا الصدد ان انحسار الواقعية الاشتراكية لا يعني أبدا ان التيار الاشتراكي فقد مكانه في أدبنا العربي المعاصر ، فما يزال قويا يؤدي رسالته الخطيرة ، مرتبطا في ذلك بنمو وتطور الحركة الوطنية والاجتماعية نفسها ، وسيكون بخصائصه الانسانية ، ونظراته الشاملة ذا اثر واضح في تكييف المستقبل العربي .

وإذا أراد الدارس ان يبرز أهم سمات الإنتاج الأدبي المعاصر ، بصرف النظر عن انتساب الأدب للتيار المحافظ ، أو للتيار التقدمي ، فإنه سيلمس الظواهر الآتية :

– إنتاج عالم مضطرب في أكثر الأحيان يشعر بتأزم الأدب العربي المعاصر ، شأنه في ذلك شأن الفكر العربي ، وهذه التازمية المستحكمة هي مأساة الإنتاج الفكري العربي ، والواقع العربي كله .

– ضمور في الإنتاج القيم ، وهزال في المحتوى ، وسذاجة في التفكير ، فالأزمة التي يعانيها الأدب العربي اليوم ليست بأزمة كمية ، بل انها أزمة نوع وقيمة ، فقد أصبح كثير من الأدباء ينتجون لغرض واحد حتى لا ينقطع إنتاجهم ، وينسأهم الناس بدون ان يكون عندهم ما يقولونه للقراء جديدا .

وكيفي ان نذكر توقف عدد من المجلات الثقافية ، والصعوبات التي تجدها مجلات شهيرة للمحافظة على مستواها ، وضمان دراسة قيمة واحدة في المدى على الأقل لندرك لمشكلة الإنتاج الأدبي المعاصر ، ولا يمكن ان نعم هذا الرأي على جميع الاقطار العربية ، فبعضها يعيش حركة نشر نشطة ، ويصدر مجلات قيمة محترمة ، لولاها لارتفعت أصوات الفرع في دنيا العرب الفكرية منذرة بخطر الفراغ الفكري . – الثنائية في حياة الكثير من الأدباء والمفكرين العرب ، فهم يعيشون حياة مستقلة عن إنتاجهم . وللوعي السياسي والثقافي أهمية كبرى تلتفت على هذه الثنائية ، فلا بد من الاعتراف بان إنتاج كثير من الأدباء يكشف عن عدم وعيهم .

– عدم توفر الرواية التاريخية الصحيحة في كثير من الحالات . ان الإنتاج الأدبي والفني يحتاج الى وعي تاريخي وحضاري ، والى الشعور بالابعاد الزمنية .

– الانقسام المأساوي الحاد بين الوجود الاجتماعي والوجود الفردي .

– التشتت الفكري ، وتمسك كل واحد بمذهبه يرى انه وحده الطلسم السحري الذي يسه تشفى البشرية من الآمها .

ونفرد هنا بين الصراع الفكري والأدبي ، وضرورة تحديد الضامين الأيديولوجية في هذا الصراع وبين الدعوة الى وحدة فكرية ، وعقلية جديدة تكون حدا أدنى يتفق حوله المفكرون العرب ويعملون على نشر هذه العقلية الجديدة بين سكان البلدان العربية ، وخاصة سگسماں الريف ، فلا ننسى ان التسليم القنري ما يزال سائدا في الريف ، وان التواكلية ، والنظرة الانفصالية ، والجزئية ، ما يزال كل ذلك يشكل مظهرا أساسيا بارزا في حياة شعوبنا البووية .

– ومن سمات أدبنا المعاصر ندرة النماذج البشرية الإيجابية البناءة وطنية ، وقومية ، وانسانية ، فهو يزرع بنماذج قائمة ، مضطربة ، لا تملك ارادة البناء . فلا مناص لانتاجنا الفكري في هذه المرحلة الحاسمة من غربة بذور الحياة لتثبت وتنمو . ان الثورة هي بناء أولا وبالذات ، وليست تقويضا كما يتخيلها أصحاب النظرة السطحية .

– طغيان العاطفة والبعد عن الدقة ، والحكم على الأشياء حكما مطلقا مبالغا فيه ، فليس نادرا ان تجد من يحكم على طبيعة غابة كاملة بشجرة واحدة . ومن جديد تطرح نفسها مسألة الوعي الحضاري الهادف حتى يتم استقطاب فكري يتفق على نظرة موحدة بدون الامل في ازالة الاختلافات الأيديولوجية .

هذه أهم السمات البارزة للإنتاج الأدبي عامة ، اما اذا أمعنا النظر في أصناف هذا الإنتاج ، فاننا نلاحظ ان درجات الأزمة والتأزم تختلف من نوع لآخر ، فنلاحظ حركة مسرحية هادفة خصبة ، فقد ألف في السنوات الاخيرة عدد من المسرحيات الجديدة أعطت للمسرح الطليعي العربي معالمه الخاصة ، وقفزت به خطوة عملاقة الى الامام . اننا نستطيع ان نتحدث عن رؤية مسرحية جديدة ، وبداية مرحلة تحول في تاريخ المسرح العربي المعاصر بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، إذ أخذ يساهم في حوار الامة العربية جمعا ، ويطرح قضايا معاصرة خطيرة ، منطلقا في ذلك ، وفي لغة مسرحية فنية واضحة وضوح رؤية الكتاب المسرحيين الطليعيين أنفسهم ، من الجذور القومية للوطن العربي ، رابطا اياها بمأساة الكيان العربي اليوم مضيغا اليها محتوى ثوريا انسانيا .

وكعاد يكون المسرح العربي الجديد النوع الوحيد من الانتاج المعاصر الذي نجح في استخدام التاريخ ، وارتبط ببراعة تقنية ، وابداع في المضمون والشكل بالتجانب التقدمية الشرقية ، والمضامين الانسانية في التراث العربي ، كما ارتبط بالتراث الشعبي ، والواقع الاجتماعي ، ونذكر مثلا سريعا لهذين اللونين من الارتباط بالتسرات التاريخي والشعبي « ثورة صاحب الحمار » و « الزنج » لعز الدين المدني ، ومسرحية « الزير سالم » لافريد فرج ، و « ليالي الحصاد » لمحمود دياب .

وهذا التحول الذي عاشه المسرح العربي المعاصر هو حصيلة تطور دام أكثر من نصف قرن ضرب الفكر التقليدي عليه حصارا مدة طويلة استطاع أن يفكه حين نجح في تقديم القضية الاجتماعية بمحتواها الثوري بعد ان بلغ المسرح الوطني طريقا مسدودا غداة الاستقلال السياسي ، وخيبة أمل الجماهير التي حلمت طويلا بان هذا الاستقلال سيحل القضية الاجتماعية .

ان صفة الطليعية التي نطلقها على المسرح العربي الجديد مرتبطة :

اولا – بتلك الثنائية التي نلمسها دائما في كثير من المجتمعات ، ولا سيما المجتمعات النامية من طلائع متشوقة للمستقبل المنشود ،

بخدمة اغراضها الدنيئة ، ويتعميم ازدهار لا تستحقه .
يجب ان لا يقع القصاصون في الفخ فيشاركون في تنفيذ تلك
المنورة . واذا كان لا بد ان يذكروا المحمة الجماعية الشعبية التي
امتازت بها الحرب التحريرية الوطنية ، والتي وجدت حقا ، فلا
يفغلو خاصة عن ذكر النور المخجل الذي لعبته الطبقة البورجوازية
الخائنة الجشعة وليقولوا كيف وقع القضاء منذ بداية الاستقلال على
الثورة الاجتماعية التي مات في سبيلها مليون من الفلاحين والعمال
وصغار الموظفين والمثقفين من قبل المحتكرين والانتهازيين وعملاء نظام
استعماري راحل لم تصح توبتهم)) (ملقى القصصة بين المفاربة ،
ص ١٧٣ - ١٧٤) .

ونستطيع ان نقول بصفة عامة ان الاتجاه التقدمي ذا الطابع
الانساني يمثل الميزة الاساسية للقصصة العربية المعاصرة ، فمن النادر
ان نجد قصة كتب لها النجاح قد تأثر كاتبها بالاتجاه التقليدي
للرومانسية مثلا ، ولكن رسالة القصصة في خدمة المستقبل العربي
محدودة - في نظرنا - بالنسبة للمسرح الطبيعي العربي ، اذا استطاع
ان يبرز للجمهور فوق خشبة المسرح ، وخاصة على الشاشة الصغيرة ،
فقد بدأت توضع في سبيله العراقيل الجمة نتيجة الردة الفكرية التي
يبر بها كثير من البلدان العربية .

ولعل حركة الشعر العربي الحديث هي اكثر ضروب الانتاج العربي
المعاصر الذي تبرز فيه سمة التأزم ، وتلوح عليه علام أزمة حادة ،
والانتاج الشعري هو الذي يتضح فيه بجلاء ارتباط الاتجاه الادبي
بالاتجاه العقائدي ، فالرؤية الشعرية متينة الاتصال بالرؤية الكونية .
ومن هنا تنطلق قضايا الشعر العربي المعاصر ، وتكمن بعض اسباب
ازمته .

فبعد ان تحدث شعراء المرحلة الاقطاعية غداة تباشير يفضة العالم
العربي الاسلامي عن أمة اسلامية ، وعن شرق وغرب ، دون ان يتنبه
أكثرهم الى ان الصراع الحقيقي الذي دخلت فيه الامة العربية ، جاءت
مرحلة البورجوازية اوطنية الاولى ، فتحدث الشعراء بغفوض عن
العروبة ، والوطن ، والاستقلال الضبابي ، ثم تحدثوا عن الحرية
والمداولة والمساواة ، والتفني بماضي الاجداد الجيد ، دون الفرز
بين القث والسمين في تراث هذا الماضي ، فساهموا في طمس الكثير
من معالم النضال الحقيقي ضد القوى الخارجية والداخلية . ثم تأتي
المرحلة الحاسمة في حركة التحرر الوطني العربية ، وتشارك الجماهير
في هذه المعركة ، ويصاب العالم العربي خلال تلك المرحلة بهزيمة
١٩٤٨ ، فيؤدي كل ذلك الى ميلاد التيار الشعري الجديد الذي طلع
على القارئ بالقصيدة الحديثة في بداية الخمسينات ، فهي لم تولد
صدفة ، أو لامتبارات فنية بحتة ، بل استجابة لضرورات اجتماعية
وسياسية وفنية أيضا تمثل في ضرورة التزام الشاعر بالرؤية
التركيبية ، والنظرة الموضوعية ، فتتضح لدى فئة من ممثلي التيار
الشعري الجديد الرؤية القومية والتاريخية ، والنظرة الشمولية
في القصيدة .

وهنا نلاحظ بروز اتجاهات في الحركة الشعرية المعاصرة تكمن
وراءها اختلافات عقائدية . وتبرز أسماء لامعة من الشعراء الجدد
الملتزمين في مطلع الخمسينات ، فتكسب الاتجاه السوري التقدمي
أهمية كبرى ، وتمكنه عن طريق الموضوعات التي تبنتها من شعبية
واسعة في المجتمع العربي ، فوضع عبد الوهاب البياتي ، وقد كان
« بحق رائد حركة الشعر الحديث ، ورأس الرمح فيها » ، أسلوب
القصيدة الحديثة في خدمة قضايا الانسان العربي ، وخدمة الثورة
الاجتماعية ، ونضال الكادحين في الوطن العربي ، مضفيا عليه معاني
انسانية خالدة ، رابطا اياه بنضال الانسان ، حيثما كان ، ضد
الاستغلال ، وانقهر ، والكبت ، ميمقا الجذور القومية باستعماله
للجوانب المضيئة التقدمية في التراث العربي . ويؤدي رواد هذا

حاملة لواء النضال من أجل تحقيقه ، وبين جماهير كثيرة لا تزال
تعيش في الماضي ، أسيرة السلطات الفيضية ، والنظرة العاطفية
الجزئية ، والتواكفية ، والروح السلفية المتحجرة . فلا بد - ان -
من حصول الصدمة والهوة العنيفة ، وتلك هي السمة الاساسية
لمحتوى المسرحيات الطليعية التي أنتجها الادباء العرب الثوريون ، فهم
لم يقصروا اهتمامهم في طرحهم لقصيدة المصير فوق خشبة مسرح
الطليعي على الحرب ضد الامبريالية ، والهزيمة العسكرية ، بل
تجاوزوا ذلك الى نقد الذات ، والسلبيات ، ومظاهر العقلية المتخلفة
في شتى الميادين في الحياة الاجتماعية ، وفي السلوك الاخلاقي ، وفي
النظرة الى الحياة ، وفي النظم التربوية القائمة على الحفظ ، وحشو
الادعفة ، وفي نظم الحكم ، وفن تسيير شؤون الكافة .

ثانيا - بالطليعة الفكرية للمجتمع العربي بكل ما يزخر به من
صراعات سياسية واجتماعية وثقافية .

ومثل الانتاج المسرحي فان القصصة العربية المعاصرة ، ولا سيما
القصصة القصيرة ، استطاعت ان تغتلب نسبيًا من « تازمية » الادب
العربي المعاصر ، واستطاعت في كثير من البلدان العربية ان تسلك
منعرجا جديدا بعد التعبير العاطفي عن مأساة الانسان العربي انسر
الهزيمة ، فتتنظر الى مشاكل الواقع العربي نظرة واقعية تقدمية ،
وتخلص كثير من كتاب الرواية والقصصة التقدميين من امراض الطفولة
للواقعية الاشتراكية ، ونظرية « البطل الايجابي » التي رذح تحت
عثنها الانتاج الروائي والقصصي اليساري سنوات طويلة في الادب
الاوربي والاميركي ، تلك النظرية التي ينقصها الفكر الاشتراكي
الفرنسي « لوفافر » قائلا :

« تدعو الى التعبير عن الجديد وحده ، وتمجيد في وجه القديم
تحت زعم الواقعية الاشتراكية ، فجاءت ثمرة هذه النظرية محصورة
في الشكليات ، وجاء ابدؤها مقتصرًا على تمجيد الاصطلاحات .
ولا عجب في ذلك ، فالبطل الايجابي خال من كل تناقض بحيث يبدو
خاليا من كل انسانية ولا تربطه بحياتنا اليومية أي صلة » (اصوات
غاضبة ، ص ٥٠) .

ومما نلاحظه في اتجاهات محتوى قسم من الانتاج الروائي
والقصصي العربي ، وخاصة في بعض البلدان العربية ، وقوعه في
فخ البورجوازية بتمجيده الماضي دون ربطه بالحاضر ، أعني بالخصوص
ماضي المرحلة التحريرية ، والتفني بأبطالها المزيفين دون الكشف عن
الابطال الحقيقيين ، أبطال الامس ، وابطال اليوم ، أولئك المعذبين
في الارض ، دعامة الثورة التحريرية ، فهو محتوى وطني لا ريب في
ذلك ، يعمق الشعور القومي لدى الجماهير ، وهو شعور ما نزال في
حاجة ملحة اليه لمواجهة التحديات بشتى اصنافها السياسية ،
والاقتصادية ، والثقافية ، ولكن نقطة الضعف في هذا الاتجاه لدى
عدد من القصاصين هو فصل ماضي الكفاح التحريري عن مأساة الحاضر ،
والتنكر اليوم لشعرات الامس القريب ، فينقلب التفني بذلك الماضي
تسليّة والهاء ، فهو انتاج تعوزه النظرة الشمولية ، والمحتوى الثوري
الانساني .

وهذا هو النوع من الانتاج القصصي في الادب العربي المعاصر
الذي ندد به الكاتب الجزائري مصطفى الاشراف قائلا :

« وان الطبقة البورجوازية المتاجرة المستغلة اذ تعرض على
المثقفين والعمال التفني بالبطولات ترمي عن قصد ، أو تكاد ، الى
تمكينهم من عملية يجدون فيها تسليّة او تحريرا لكبتهم لا طائل وراءه ،
وتدعوهم الى تمجيد الماضي القريب ، ذلك الماضي الذي لم تساهم
تلك البورجوازية في تكوينه ، ولو كانت آنذاك قوية عزيزة ، والى
تمسك الشعب به تمسك الدمن على شرب الافيون .

فهذه البورجوازية التي هي اكثر الطبقات خمولا وركودا ، وأسرعها
الى الانهزام تنظر بعين الرضا الى هذا التعلق بالبطولة الذي يسمح لها

ومن أبرز علائم أزمة الشعر العربي الحديث الانفصال السذي حدث بينه وبين الجمهور ، ولا أوافق من يعلل ذلك بثقافة القارئ ، وانتشار الامية في الوطن العربي ، وانما الاسباب اكثر تشعبا وعمقا من هذا ، فبعضها يرجع الى تآزم الوضع العربي العام ، واعراض القارئ عن الشعر ، لانه أصبح يحشر الشعراء في زمرة المتأخرين بالكلام ، المردين للخطب الرنانة ، والشعارات اللفظية الجوفاء ، « ان الجماهير الكادحة قد سمعت المزيد من القصائد الرنانة الواعدة دون ان تجني غير المزيد من الاستلاب » .

أما الشعر الرومانسي فيعرض عنه الانسان العربي اليوم لانه بعيد عن المأساة التي يعانها يوميا ، ومن يقبل عليه ، ويقراء فمن أجل النسلية ، والهروب من مرارة الواقع ، فهو شعر يسلي بجماله وصوره ، ولكنه غالبا بعيد عن المأساة بأبعادها القومية والانسانية . وتمس أزمة الواقع العربي شعر المقاومة نفسه فتؤثر المواقف السياسية تجاه حركة المقاومة في موجة التعاطف مع هذا الشعر ، فتتخسر ، ويشرف شعر الارض المحتلة على باب مسدود ، كما يعترف بذلك محمود درويش .

ان أزمة الشعر متصلة - كما نحنا - بقضايا الواقع العربي من جهة ، وبالانجازات الادبية التي تمثلها مختلف الفئات ، والمناخات بدورها بالفرقة الايدولوجية بين الشعراء من جهة اخرى ، فنجد اليوم تيارا طليعيا ، وآخر عصريا ، وشكليا ، وفئة نرجسية ، وثانية تمردية ، وثالثة رغم شعورها بهزيمة جيلها وفشلها لا تباي ، ولا تفقد الامل الذي عجزت الاجيال المهزومة عن تحقيقه ، فتتجه الى المستقبل ، الى عالم الاطفال ، فيقول سليمان العيسى :

أمنت بالآتين بالاطفال
بهازمي أسطورة الحال

حالما يبقظلة جديدة تختلف عن بقظلة العالم العربي الحالي ، رغم حصيلتها التاريخية خلال قرن كامل :
لا بد ان يزوب في الهجير ما جمد
لا بد ان يستيقظ القبر الذي رقد

انه من الصعب حقا ان نتصور اليوم تأثير الاتجاهات الادبية المعاصرة في المستقبل العربي ، فقد رأينا كثيرا من الاتجاهات غامضة ، فيها كثير من التناقضات والزيف ، ورأينا المستقبل العربي نقشه غيوم كثيفة ، ولكن الهدف الواضح الذي يجب على الادباء والمفكرين العرب ان يسعوا جاهدين لتحقيقه هو خلق ادب جديد يعبر عن واقع الانسان العربي الجديد وآماله . ان الوطن العربي في حاجة ملحة الى ثورة ثقافية شاملة تعيد النظر في كثير من القضايا السياسية ، والقضايا الاجتماعية والفكرية الراهنة ، وتحرر المجتمع العربي من قيوده ، وتزيل العقبات التي تقف في طريق تقدمه وانطلاقه .

ولكن هذا الانسان العربي الجديد ، وليد الماضي والحاضر ، لا يستطيع ان يحدد الرؤية للمستقبل ، ويوضح معالمه ، ليستطيع الادب والفن ان يحمل مشعل هذا المستقبل العربي المنشود ، الا اذا نجح في حل أزمة الحاضر ، وحل مشكلة المشاكل فيه : نظم الحكم ، والاهتداء الى اقوم السبل ، وأنجع الطرق لبعث حماس الجماهير العربية للمحتوى الوطني والقومي والانساني في آثار الادب العربي المعاصر .

الحبيب الجنحاني

تونس

التيار داخل حركة الشعر العربي المعاصر - نجد الى جانب البياتي : السياب ، والفيتوري ، وأدونيس ، ثم شعراء المقاومة - دورا ايجابيا في تحديد رسالة الشعر الجديد ، وخدمتها لقضايا الانسان العربي . اننا لا نوافق الاستاذ انطون مقدسي حين يقالي في حديثه عن الشعر العربي اليوم قائلا : « شعرنا اليوم المقلد منه والمجدد يعيش على فتات ذلك القديم يعيده زخرفا لفظيا أو يستدعيه ظلا ، يشوه اكثر مما يبدع ، فيخفق في الحاليتين ، تعوزه الشفافية ، يعسوزه البيان : جسم لم تستقر فيه روح فتبعثه كائنا سوبا » (المعرفة ، أكتوبر ١٩٧١ ، ص ٢٣) .

فما يزال قسم وافر من الانتاج الشعري المعاصر يؤدي رسالته الوطنية ، والقومية ، والانسانية ، ويقف في طليعة معركة المصير العربي دون اهمال للاسلوب الشعري الوهوب ، او ضمور في المحتوى الثوري الانساني ، ولكن هذا التيار الذي واصل رواده حمل المشعل لم ينقذ حركة الشعر الحديث من الازمة .

ولعل السبب العميق للازمة يعود الى انعدام الرؤية الحضارية الواضحة لدى الكثير من الشعراء وما ينشأ عنه من فقدان القصيدة للنظرة الشمولية المكثفة للوجود المشاهد الذي تعبر عنه ، وتطرح قضاياها ، فتأتي كثير من الاتجاهات الشعرية عائمة غامضة منبثقة عن واقع المواطن العربي الاليم .

فالقضية الاولى - اذن - تتمثل في تحديد رسالة الشاعر ، فالشاعر يجب ان يكون - كما يقول الفيتوري - « شاعرا بحق » وليس مجرد مهندس معماري ، او صابغ احادية ، او مزخرف واجهات « ليستطيع اداء رسالته الخطيرة في الوطن العربي . تلك الرسالة التي يحددها البياتي بطريقة اخرى قائلا : « فانا اومن بان على الشاعر ان يوحد بين تجربته الذاتية وتجربته الجماعية ، أي انني أرى ان الشاعر هو صوت الجماعة في كل عصر ... وهو حتى في خاصيته يعبر عن موجود الجماعة كلها ، وذلك لشمول تجربته وعدم محدوديتها . وسر نجاح الشاعر وخلوده يقوم في قدرته على التوحيد بين تجربته الذاتية وتجربة المجموع » .

ويندد صراحة بالمرسة الرومانسية في الشعر العربي المعاصر متهما اياها بالعجز عن اداء رسالة الشعر الانساني الهادف ، ويؤمن بان فرار القصيدة الرومانسية من العنصر الدرامي هو فرار من الواقع الوجودي ، فيقول : « اما العنصر الدرامي في القصيدة فهو امر طبيعي ، وذلك لان الوجود نفسه هو دراما كبيرة ، وليس هو برؤيا رومانسية باهتة . ولذلك اعتقد ان القصيدة الرومانسية هي تزيف فج للواقع الذي نعيشه ، وتعبير مسطح عن الجوانب الهامشية فيه » (الاقلام ، العدد ١١ ، ١٩٧٢ ، ص ٨٣) .

ان كثيرا من شعراء الادب العربي اليوم عاجزون عن فهم رسالة الشعر هذا الفهم ، وتبنيهم هذا التيار عامسة ، بصرف النظر عن منبرجاته الايدولوجية ، وهذا النقص في ثقافة كثير من شعراء اليوم ، وفي رؤيتهم يمثل مظهرا آخر لازمة الشعر العربي ، فمن الاوليات المطلوبة ان شعر أمة ما هو مقياس انسانيها ، ولكن كيف يمكن خدمة هذه الانسانية ، والتعبير عنها بدون رؤية كونية شاملة ؟

وأدى فقدان هذه الرؤية الى التذبذب في مواقف الكثير من الشعراء ، فيصبح بعضهم تقديما بين عشية وضحاها حين تنفجر بعض الثورات في العالم العربي والبعض منها لا يتجاوز في منطق الموضوعية التاريخية ان يكون انقلابا يطلع علينا بأسماء جديدة ، وبلاغات مرقمة مجارة للقيم الجديدة ، أو خوفا من اتهامهم بالرجعية والتخلف .